Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
العدد (109) المجلد (1) ايلول 2026

الحجاج البلاغي في مدائح بني عباد دراسة تحليلية في استراتيجيات الإقناع والتأثير

م. محمد طاهر جاسم
رئاسة جامعة ديالى

Abstract

This research examines rhetorical argumentation in the panegyrics of the Banu Abbad, considering it an effective mechanism in constructing and directing poetic discourse towards persuasion and influence on the recipient. In the poetry of the Taifa period, panegyric was not merely an expression of admiration for the praised figure or a recounting of their virtues; rather, it constituted a rhetorical discourse in which linguistic, figurative, and argumentative means combined to establish the praised figure's worthiness of leadership, merit, and status. The research aims to uncover the most prominent argumentative strategies employed by the Banu Abbad poets in constructing their panegyrics and to demonstrate the effectiveness of rhetorical devices in achieving the aims of panegyric discourse

. The research drew upon selected examples of panegyrics by al-Mu'tamid ibn Abbad and the princes of the Banu Abbad dynasty, while also utilizing the poetry of several poets associated with the Abbad court, particularly Ibn al-Labbana, Ibn Hamdis, and Abd al-Jalil ibn Wahbun. The applied aspect focused on a range of argumentative techniques, including argumentation through emphasis, simile, metaphor, antithesis, religious allusion, emotional appeal, argumentation based on values and attributes, and inference from the influence of the praised figure on others.

The research concluded that panegyric discourse among the Banu Abbad is based on a close interplay between aesthetic and argumentative functions. Rhetorical imagery not only serves to embellish but also becomes a means of establishing meaning and persuading the recipient. Emphasis and hyperbole contribute to solidifying the image of the praised figure, while religious and ethical references lend the discourse pragmatic and authoritative power. Emotional appeal deepens the connection between the poet, the recipient, and the praised figure. Thus, Abbadian panegyric poetry reveals a clear awareness of the power of language in crafting the image of the praised figure, consolidating their status, and creating an impact on the recipient

Email:
Mohammed.tahir.jasim@uodiyala.edu.iq

Published: 1- 9 -2026

Keywords: الحجاج البلاغي، المدائح، المعتمد بن عباد، ابن اللبانة، ابن حمديس.

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

يتناول هذا البحث **الحجاج البلاغي في مدائح بني عباد**، بوصفه آلية فاعلة في بناء الخطاب الشعري وتوجيهه نحو الإقناع والتأثير في المتلقي، إذ لم يكن المديح في شعر عصر الطوائف مجرد تعبير عن الإعجاب بالممدوح أو سردًا لمناقبه، وإنما مثّل خطابًا بلاغيًا تتضافر فيه الوسائل اللغوية والتصويرية والحجاجية لإثبات جدارة الممدوح بالسيادة والفضل والمكانة. ويسعى البحث إلى الكشف عن أبرز الاستراتيجيات الحجاجية التي اعتمدها شعراء بني عباد في بناء مدائحهم، وبيان مدى فاعلية الأدوات البلاغية في تحقيق مقاصد الخطاب المدحي.

وقد اتخذ البحث من نماذج مختارة من مدائح **المعتمد بن عباد** وأمراء بني عباد مجالًا للتطبيق، مع الإفادة من شعر عدد من الشعراء الذين اتصلوا بالبلاط العبّادي، ولا سيما **ابن اللبانة، وابن حمديس، وعبد الجليل بن وهبون**، وركز الجانب التطبيقي على جملة من الآليات الحجاجية، منها : **الحجاج بالتوكيد، والتشبيه، والاستعارة، والمقابلة، والتضمين الديني، والاستمالة العاطفية، فضلًا عن الحجاج بالقيم والصفات، والاستدلال بأثر الممدوح في الآخرين.**

وقد خلص البحث إلى أن الخطاب المدحي لبني عباد يقوم على تداخل وثيق بين **الوظيفة الجمالية والوظيفة الحجاجية**؛ فالصورة البلاغية لا تؤدي دورًا تزيينيًا فحسب، بل تتحول إلى وسيلة لإقامة المعنى وإقناع المتلقي به، كما أن التوكيد والمبالغة يسهمان في ترسيخ صورة الممدوح، في حين تمنح المرجعيات الدينية والقيمية الخطاب قوة تداولية ومرجعية، وتعمل الاستمالة العاطفية على تعميق الصلة بين الشاعر والمتلقي والممدوح. ومن ثم يكشف شعر المديح العبّادي عن وعي واضح بفاعلية اللغة في **صناعة صورة الممدوح، وترسيخ مكانته، وإحداث الأثر في المتلقي.**

المقدمة

يُعدُّ الحجاجُ من المفاهيم المركزية التي شهدت حضورًا متناميًا في الدراسات البلاغية والنقدية الحديثة؛ إذ تجاوز وظيفةَ إثبات الدعوى إلى وصفِه نسقًا تداوليًا متكاملًا يسعى إلى بناء المواقف، وتوجيه المتلقي، والتأثير في قناعاته. وقد عززتْ النظريات الحجاجية المعاصرة، ولا سيما ما قدمه بيرلمان وأولبرختس–تيتيكا وديكرو وأموسي، في البلاغة ما يسهم في رفد وظائفها المتعددة، ويرسخ ركائزها المعهودة، حتى صارت عالمًا للإقناع، فقد ربطت بين البنية اللغوية والوظيفة التواصلية، مؤكدة أن الخطاب الأدبي لا ينفصل عن مقاصده التداولية، بل يحمل في داخله منظومة من الحجج والاستراتيجيات التي تُوجِّه المتلقي نحو تبني رؤية معينة.

وإذا كان الحجاج قد ارتبط في الفكر الحديث بمجالات الفلسفة واللسانيات والتداولية، فإن جذوره تمتد عميقًا في التراث البلاغي العربي، إذ أدرك البلاغيون الأوائل أن الغاية الأساسية من البلاغة هي

التأثير في المخاطب، وإحداث الاستجابة المناسبة لديه. وقد تجلت هذه الرؤية في مباحث البيان والمعاني والبديع، وفي تصورات الجاحظ والسكاكي وحازم القرطاجني، وفي نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، الذين ربطوا بين جودة الخطاب وفاعليته الإقناعية.

وتبرز **مدائح بني عباد** بوصفها نموذجًا ثريًا لهذا اللون من الخطاب؛ فقد كان بنو عباد، حكام إشبيلية في القرن الخامس الهجري، مركزًا سياسيًا وثقافيًا استقطب كبار شعراء الأندلس، فأبدعوا في مدحهم بقصائد اتسمت بثراء لغوي، وتنوع بلاغي، وبناء حجاجي محكم. ولم تكن تلك المدائح مجرد استجابة لظروف البلاط، بل كانت تعبيرًا عن رؤية ثقافية وسياسية عملت على ترسيخ صورة بني عباد بوصفهم رعاةً للحضارة، وحماةً للدولة، وحملةً لمشروع ثقافي في الأندلس.

وتنبع أهمية هذا البحث من سعيه إلى الكشف عن البنية الحجاجية الكامنة في مدائح بني عباد، وتحليل الوسائل البلاغية التي أسهمت في بناء استراتيجيات الإقناع والتأثير، وذلك في ضوء التكامل بين البلاغة العربية والنظريات الحجاجية الحديثة. كما يسعى إلى إبراز أن جمال الخطاب الشعري لا ينفصل عن وظيفته الإقناعية، وأن الوسائل البلاغية تؤدي دورًا تداوليًا يتجاوز حدود الزخرف اللفظي.

تنطلق الدراسة من الإشكالية الرئيسة المتمثلة في كيف أسهمت الوسائل البلاغية في بناء الحجاج داخل مدائح بني عباد، وما أبرز استراتيجيات الإقناع والتأثير التي اعتمدها شعراء الأندلس في رسم صورة الممدوح؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية عدد من الأسئلة، من أهمها:

1-ما مفهوم الحجاج البلاغي في ضوء التراث البلاغي العربي والدراسات الحديثة؟

2-ما أبرز الآليات الحجاجية التي اعتمدها شعراء مدائح بني عباد؟

3-كيف أسهمت الوسائل البلاغية في تحقيق الوظيفة الإقناعية للخطاب؟

4-ما أثر تلك الاستراتيجيات في تشكيل صورة الممدوح داخل القصيدة الأندلسية؟

تكمن أهمية البحث بوصفه يدرس المدائح العبادية من منظور حجاجي، فهذه النصوص الشِّعرية لم يحظ بالعناية الكافية في المنظور الحجاجي، فضلًا عن سعيه إلى الإفادة من مناهج تحليل الخطاب الحديثة في قراءة الخطاب الشعري الأندلسي، بما يفتح آفاقًا جديدة لفهم العلاقة بين البلاغة والإقناع.

يسعى البحث إلى الوقوف عند مفهوم الحجاج البلاغي في ضوء التراث العربي والنظريات الحديثة، والكشف عن أبرز الاستراتيجيات الحجاجية في مدائح بني عباد، وتحليل العلاقة بين الوسائل البلاغية والوظيفة الإقناعية، وبيان أثر البناء الحجاجي في تشكيل صورة الممدوح .

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، القائم على تأصيل المفاهيم، ثم تطبيقها على نماذج مختارة من مدائح بني عباد، مع الإفادة من آليات تحليل الخطاب والحجاج والبلاغة الحديثة، وربط النتائج بالسياقين التاريخي والثقافي للأندلس.

اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى تمهيد ومبحثين، درس التمهيد الحجاج البلاغي: المفهوم والأسس النظرية، وبحث الثاني البنية الحجاجية في مدائح بني عباد، جاء الثالث لدراسة دراسة تطبيقية في استراتيجيات الإقناع والتأثير في نماذج مختارة من المدائح، ثم تختم بأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة تتبعها قائمة بالمصادر والمراجع التي جاءت في مفاصل البحث.

التمهيد: الحجاج البلاغي المفهوم والأسس النظرية :

أوَّلًا : مفهوم الحجاج لغةً واصطلاحًا :

وردت مادة **(ح ج ج)** في المعجمات العربية بدلالات متعددة، تدور جميعها حول معنى القصد والبرهان والغلبة في الخصومة. فقد جاء في لسان العرب: (الحُجَّة: البرهان، وحاجَّه محاجَّةً وحِجاجًا إذا غالبه بالحجة)[1]، فالحجاج في أصله اللغوي يعني إقامة الدليل الذي يُفضي إلى إقناع الخصم وإلزامه. وفي مقاييس اللغة لابن فارس، ترجع المادة إلى أصلين: أحدهما القصد، والآخر الظفر بالحجة. ويكشف هذا الأصل اللغوي عن العلاقة الوثيقة بين الحجاج وفعل الإقناع، إذ لا تتحقق الغلبة إلا من خلال قوة الدليل وسلامة الاستدلال[2]. يتبين لنا أنَّ الحجاج في دلالته اللغوية يقوم على ثلاثة عناصر رئيسة: وجود دعوى يراد إثباتها، وتقديم أدلة أو براهين تؤيد تلك الدعوى، وحمل المخاطب على قبول النتيجة .

أما في الاصطلاح فقد تعددت تعريفات الحجاج تبعًا لاختلاف الرؤى والاتجاهات العلمية، غير أنها تكاد تتفق على أن الحجاج نشاط لغوي يروم التأثير في المتلقي، إذ يرى **شاييم بيرلمان** أن الحجاج هو: مجموعة الوسائل الخطابية التي تهدف إلى كسب موافقة الجمهور على قضية أو رأي معين، ويختلف بذلك عن البرهان المنطقي؛ لأن غايته ليست الوصول إلى اليقين الرياضي، بل تحقيق القبول والإذعان.[3]

أما **روث أموسي** فترى أن الحجاج حاضر في جميع الخطابات، وليس مقصورًا على النصوص الجدلية؛ لأن كل خطاب يسعى بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى التأثير في المتلقي.[4]

وفي الدراسات العربية المعاصرة، يعرّف محمد العمري الحجاج بأنه منظومة من الآليات اللغوية والبلاغية التي تُستخدم لتوجيه المتلقي نحو موقف معين، اعتمادًا على الحجج العقلية والقيمية والعاطفية.[5] ومن خلال هذه التعريفات يمكن القول إن الحجاج هو: عملية تواصلية تستثمر الوسائل اللغوية والبلاغية والتداولية لإقناع المتلقي بفكرة أو موقف، من خلال بناء نسق من الحجج المترابطة التي تقود إلى نتيجة مقصودة.

ثانيًا : الحجاج والبلاغة العربية :

يُعدُّ الحجاج جزءاً رئيسًا من البلاغة العربية، سواء في جذورها التراثية أو في الدراسات النقدية الحديثة التي أعادت ربط البلاغة بوظيفتها الإقناعية والتداولية بدلاً من حصرها في الزخرفة اللفظية، فالبلاغة توفر الأدوات اللغوية والجمالية، بينما يوجه الحجاج هذه الأدوات نحو غاية إقناعية، ولهذا يرى

كثير من الباحثين أن البلاغة العربية كانت في جوهرها بلاغة حجاجية؛ لأنها قامت على مراعاة المقام، ومقتضى الحال، وأثر الخطاب في السامع. ومن ثم فإن الصورة البيانية، والاستعارة، والتشبيه، والكناية، والتكرار، ليست مجرد وسائل للزينة اللفظية، بل أدوات حجاجية تُسهم في تقوية الخطاب وإكسابه قدرة أكبر على التأثير. [6]

ويُعد الجاحظ (ت255هـ) من أوائل المفكرين الذين أدركوا الوظيفة الإقناعية للخطاب، فقد جعل البيان أداةً لإظهار المعاني وإحكامها في النفوس، ورأى أن نجاح المتكلم لا يتحقق بامتلاك المعرفة وحدها، وإنما بقدرته على عرضها عرضًا يوافق عقول المخاطبين وطبائعهم. ويؤكد أن اختلاف الناس في طبائعهم وثقافاتهم يقتضي اختلاف طرائق مخاطبتهم، وهو ما يعبر عنه بقوله إن لكل مقام مقالًا، ولكل حال خطابًا يناسبها. كما يؤكد أن الحجة لا تبلغ غايتها إذا جاءت منفصلة عن حسن الأداء، ولذلك جمع بين قوة المعنى وجمال العبارة، وعدَّ البلاغة وسيلة لإقناع العقل واستمالة الوجدان في آنٍ واحد[7].

ويرى عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) أن البلاغة لا تكمن في مفردات منفردة، وإنما في طريقة تأليفها داخل السياق، بحيث تتكامل لتكوين معنى قادرًا على التأثير في المتلقي. ومن هنا فإن ترتيب الألفاظ ليس شأنًا شكليًا، بل يمثل جزءًا من عملية الإقناع نفسها.وتبرز الوظيفة الحجاجية في نظرية النظم من خلال ترتيب الحجج على وفق تسلسل منطقي، ومراعاة المقام وأحوال المخاطبين، وتوظيف الصور البيانية لخدمة المعنى، والانتقال التدريجي من المقدمات إلى النتائج. وبذلك تصبح البلاغة عند الجرجاني عملية بناء فكري قبل أن تكون صناعة لفظية، وهو ما يجعل نظريته من أكثر النظريات التراثية قربًا من التصورات الحجاجية الحديثة.[8]

وجعل حازم القرطاجني (ت684هـ) وظيفة الشعر الأساسية هي التأثير في المتلقي، وربط بين جودة القصيدة وقدرتها على تحريك النفس. فالشاعر لا ينقل الواقع كما هو، بل يعيد تشكيله من خلال التخييل، ليحمل المتلقي على قبول رؤية معينة. وهنا يصبح التخييل أداةً للإقناع، لا مجرد وسيلة جمالية. ويؤكد القرطاجني أن نجاح الشاعر يتحقق حين يستطيع الجمع بين قوة المعنى، وحسن الترتيب، وجمال التصوير، والتأثير النفسي، وهي عناصر تشكل في مجموعها بنية حجاجية متكاملة.[9]

ثالثًا : النظريات الحجاجية الحديثة وأثرها في تحليل الخطاب الشعري :

أ: نظرية بيرلمان وأولبرختس-تيتيكا (البلاغة الجديدة):

تمثل نظرية **البلاغة الجديدة** التي وضعها شاييم بيرلمان ولوسي أولبرختس-تيتيكا نقطة تحول في الدراسات الحجاجية؛ إذ انطلقت من نقد المنطق الصوري الذي يقصر البرهنة على القضايا اليقينية، ورأت أن أغلب الخطابات الإنسانية تقوم على الإقناع لا على البرهان الرياضي . ويرى بيرلمان أن نجاح الخطاب مرهون بقدرته على كسب موافقة الجمهور، ولذلك فإن المتكلم لا يبني حججه في فراغ، وإنما

يكيفها على وفق طبيعة المتلقي وقيمه الثقافية والاجتماعية. ويترتب على ذلك أن الحجة لا تُقاس بصحتها المنطقية فحسب، بل بقدرتها على إحداث القبول. وقد صنف بيرلمان الحجج إلى أنواع متعددة، من أهمها: الحجاج القائم على القيم، والحجاج بالمقارنة، والحجاج بالتمثيل، والحجاج بالسلطة، والحجاج بالسببية، والحجاج بالتدرج[10]. وتُعد هذه الآليات من أكثر الوسائل حضورًا في الخطاب الشعري، ولا سيما في المدائح، إذ يعتمد الشاعر على القيم المشتركة، ويستحضر الشخصيات التاريخية، ويقيم المقارنات، ويستثمر التدرج في عرض الصفات، للوصول إلى نتيجة تتمثل في إقناع المتلقي بأحقية الممدوح بالثناء.

ب: نظرية ديكرو والحجاج في اللغة :

انطلق **أوزوالد ديكرو** من فرضية مؤداها أن الحجاج ليس عنصرًا خارجيًا يضاف إلى اللغة، بل هو جزء من بنيتها الداخلية. فالكلمات والتراكيب نفسها تحمل توجيهًا حجاجيًا، وتدفع المتلقي إلى استنتاج معين، ومن هنا جاءت فكرته المعروفة بـ **الحجاج في اللغة**، التي تؤكد أن الروابط اللغوية، مثل: لكن، بل، لأن، حتى، إذن، وإنما، لا تؤدي وظيفة نحوية فحسب، بل ترسم المسار الذي تسلكه الحجة داخل الخطاب، وتكتسب هذه النظرية أهمية كبيرة في تحليل الشعر؛ لأنها تكشف أن ترتيب الجمل، واختيار أدوات الربط، وصياغة التراكيب، جميعها تشارك في بناء الإقناع، وليس الصور البيانية وحدها.[11]

ج: روث أموسي والحجاج بوصفه ممارسة خطابية :

ترى **روث أموسي** أن كل خطاب يحمل بعدًا حجاجيًا، حتى وإن لم يكن هدفه المعلن هو الإقناع؛ لأن مجرد عرض الأفكار وتنظيمها يؤدي إلى توجيه المتلقي نحو تبني موقف معين، وتؤكد أموسي أن نجاح الحجاج يعتمد على عناصر عدة، منها: صورة المتكلم، وصورة المخاطب، والسياق الثقافي، والقيم المشتركة، وطبيعة الجمهور، ويفيد هذا التصور في دراسة المدائح؛ لأن الشاعر لا يخاطب الممدوح وحده، وإنما يخاطب جمهورًا أوسع، يسعى إلى ترسيخ صورة الحاكم في وعيه الجماعي.[12]

يتَّضح مما سبق أن الحجاج يمثل نقطة التقاء بين البلاغة العربية والنظريات التداولية الحديثة، وأن الوظيفة الإقناعية للخطاب كانت حاضرة في التراث البلاغي قبل أن تتبلور في صورتها المعاصرة.

المبحث الأول : البنية الحجاجية في مدائح بني عباد

تكشف المدائح الأندلسية عن حضور واضح لمعظم الآليات التي تحدث عنها الحجاجيون المعاصرون، إذ نجد: الاعتماد على القيم العليا، كالعدل والشجاعة والكرم، واستحضار النماذج التاريخية والدينية، والمقارنة بين الممدوح وسائر الحكام، والتدرج في عرض الصفات، توظيف الأساليب البلاغية لخدمة الإقناع. ولا تأتي هذه العناصر منفصلة، بل تتكامل داخل بنية خطابية واحدة، تجعل القصيدة سلسلة من الحجج المتتابعة التي تنتهي إلى نتيجة مفادها أن الممدوح بلغ مرتبة تستوجب الثناء

والإجلال. ومن هنا فإن النظريات الحجاجية الحديثة لا تُفرض على النصوص الأندلسية فرضًا، وإنما تكشف عن آليات كامنة فيها، وتمنح الباحث أدوات دقيقة لتحليلها.[13]

ولم يكن شعراء بلاط دولة بني عباد مجرد مادحين، بل كانوا يسهمون في تشكيل الوعي السياسي للمجتمع، من خلال إبراز شرعية الحاكم، وتمجيد إنجازاته، وإظهار فضائله في صورة تجعلها مقبولة لدى المتلقي. ولهذا أصبحت القصيدة تؤدي وظيفة إعلامية وسياسية إلى جانب وظيفتها الجمالية، وقد ساعدت البيئة الثقافية في إشبيلية على ازدهار هذا اللون من الشعر، إذ كانت المدينة ملتقى للعلماء والفقهاء واللغويين، الأمر الذي انعكس على لغة القصيدة، فجاءت مشحونة بالإحالات القرآنية والتاريخية، وغنية بالصور البيانية والأساليب البلاغية التي عززت قوتها الحجاجية. ومن ثم فإن الخطاب المدحي في عصر بني عباد لا يمكن فصله عن سياقه الحضاري؛ لأنه يعبر عن رؤية سياسية وثقافية هدفت إلى ترسيخ صورة الدولة في أذهان الناس، وجعل الحاكم نموذجًا للكمال الإنساني والسياسي[14].

أولًا : المدح بوصفه خطابًا سياسيًا :

لم يعد المدح في العصر الأندلسي تعبيرًا عن الإعجاب الفردي بالممدوح، بل أصبح خطابًا سياسيًا يسهم في إنتاج الشرعية الرمزية للحاكم. فالشاعر حين يصف الأمير بالعدل أو الحزم أو الكرم، لا يورد هذه الصفات على سبيل الوصف المجرد، وإنما يجعلها أدلةً على استحقاقه للسلطة، وبذلك تتحول القصيدة إلى وسيلة لإقناع الجمهور بمشروعية الحكم. وتتجلى هذه الوظيفة بوضوح في مدائح بني عباد، إذ يحرص الشعراء على تقديم الحاكم بوصفه حامي الثغور، وراعي العلم، وناصر الدين، وهي قيم تستند إلى المرجعية الإسلامية والاجتماعية، وتمنح الخطاب قوة إقناعية كبيرة .

ويصف ابن زيدون [15] الخطاب السياسي بقوله

ونهجك سبل الرشد في قمع من غوى

وعدلك في استئصال من جار واعتدى

وان بات من والاك في نشوة الغنى

واصبح من عاداك في غمرة الرؤى

يؤسس أبن زيدون في مدح الحاكم تصويرا ابداعيا، بدلالة حجاجية ، بأساليب بلاغية، احال فيها المدح الى خطاب سياسي عند تصوير الصفات الحسنة للمدوح. (الرشد،العدل، الحزم،العدل، القدرة)ليوكد شرعية الحكم للمتلقي ،وتعزيز الدور البطولي في مواجهة المعتدين للمدوح . فاستعمل الوظيفة الحجاجية بالاستعارة والتشبيه في قوله (نهجك سبل الرشد) وجعل هذا طريقا يسلكه الحاكم. فالرشد سياسة ايجابية تعود للحاكم، موثرا في المتلقي باثبات صورة الممدوح في الحكم بالصواب.

ثم ينتقل الى الحجاج بالمقابلة والطباق، في قوله (وعدلك في استئصال من جار واعتدى) اسناد للمدوح بالعدالة والقوة ، فمثل الحجاج بالدلالة على الحماية من الجور ،والاعتداء ،والنعمة ،والغنى

صفات الممدوح ،وبدونه يكون الاضطراب في البلد، وهذه الحجة تدفع المتلقي الى التاييد والموالاة. بعد تقديم المبررات السياسية والاخلاقية للممدوح بهدف الولاء.

ويسند أبن زيدون [16]قوله في صفات ملوك الاندلس بتصوير ابداعي حين يقول

اعباد. يا أوفى الملوك بذمة

وارعاهم عهدا واطولهم يدا

تباينت في حاليك غرت تواضعا

لتستوفي العليا وانجدت سوددا

يحسن ابن زيدون في توظيف الادلة الحجاجية باساليب بلاغية ، ترسم سبل الاقناع والتأثير للمتلقي.فيظهر اسلوب النداء مقترنا بالتفضيل في قوله(ياوفى الملوك بذمة) فالوفاء للدولة من الملك ، افضل واكبر من الوفاء اليه ، حين يصور الاحساس بوفاء الملك والحجة والبرهان ، عندما يجعل التفضيل والنداء في البيت الشعري، ليتدرج في الاقناع والتأثير فينتقل الى التكثيف بالحجة حين يقول (وارعاهم عهدا واطولهم يدا) .فتتظافر سلسلة الصفات(الوفاء ،الرعاية ، العهد،الكرم) فالكناية في (اطولهم يدا) صورة مثالية للحاكم في السخاء . وهومن يحق له الحكم، ويواصل الشاعر اخراج الصفات الحسنة للمتلقي ، حين يستثمر المفارقة اوالجمع بين صفتين متباعدتين(التواضع والعلو) اسهاما في بناء صورة لايكون فيها الحكم بالكبر بل بالتواضع، ويرى في صفات الحاكم وسيلة لبلوغ المجد(لتستوفي العليا) وهذا السبيل الذي يحاول الشاعر الخوض فيه اثناء المدح ، استدراجا بالحجاج واستمالة بالقناعة ، والتأثير لحاكم بلاده، وهذه الوظيفة الحجاجية التي لازمت المدح في النص الشعري، ليبقى المتلقي صاحب عهدا وولاء للحكام بني عباد.

ثانيًا: المرجعيات الثقافية في الخطاب المدحي :

اعتمد شعراء بني عباد على شبكة واسعة من المرجعيات الثقافية، فاستحضروا الشخصيات التاريخية، والرموز الدينية، والأحداث المشهورة، وجعلوا منها شواهد تؤيد دعاواهم. ولم يكن هذا الاستحضار مجرد زخرف ثقافي، بل أدى وظيفة حجاجية؛ إذ ربط الممدوح بنماذج راسخة في الذاكرة الجمعية، فأكسبه سلطة رمزية إضافية، ومن أبرز هذه المرجعيات: القصص القرآني، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، والتراث العربي القديم، والأمثال والحكم، وقد أسهم هذا التوظيف في تعزيز ثقة المتلقي بالخطاب، لأن الحجة المستندة إلى مرجع ثقافي مشترك تكون أقدر على تحقيق الإقناع[17]. وهذا ما يتجلى في نص ابن زيدون قائلًا [18] :

وَنَهْجُكَ سُبُلَ الرُّشْدِ في قَمْعِ مَنْ غَوَى وَعَدْلُكَ في اسْتِئْصَالِ مَنْ جَارَ وَاعْتَدَى

وَدَوْلَةُ سَعْدٍ لا انْتِهَاءَ لِحَدِّهَا إِذَا قِيلَ فِيهَا قَدْ تَنَاهَى تَوَلَّدَا

إن الخطاب الحجاجي يعتمد على المرجعية الثقافية، فالنهج الذي يتبناه في الثيمة المدحية هي سبيل في الخلاص والرشد بما ينسجم مع العدل الذي يتصف به الممدوح، وتتسع هذه الثيمة في البيت التالي عندما يوظف مصطلح (دولة) ويوازيها بالسعادة ولا انتهاء لحده. وهنا البنيات الحجاجية كلية مع الشطر التالي وهو الحجاج الثقافي والسياسي معاً . ويتكرر هذا الخطاب بنص شعري آخر ايضا يقدمه ابن زيدون [19] :

رَأَيْنَاكَ في أَعْلَى المُصَلَّى كَأَنَّمَا تَطَلَّعَ مِنْ مِحْرَابِ دَاوُودَ يُوسُفُ

وَلَمَّا حَضَرْنَا الإِذْنَ وَالدَّهْرُ خَادِمٌ تُشِيرُ فَيُمْضِي وَالقَضَاءُ مُصَرِّفُ

إن البنية المدحية تتسع عبر توظيف حجاجي مدحي آخر يستثمره الشاعر بكليات بينية مكتملة المعنى، فيوظف بنية (رأيناك) في أعلى المصلى، وهي بنية الاستعلاء، في خطاب ثقافي مكتمل نصيًا من المحراب (داود ويوسف)، وهو استثمار ثقافي عمد إليه ابن زيدون في هذا النص الذي مدح به الوزير، ويكتمل في البيت التالي بـ (لما حضرنا الإذن والدهر خادم)، أيضاً بنيات نصية مكتملة المعنى والدلالة، ومتوازية مع الشطر التالي بالإشارة إلى القضاء الذي هو مصرف، أي أن الشاعر يقدم صورة نمطية مكتملة الاركان عن الممدوح .

ثالثًا: القيم المؤسسة للخطاب المدحي

يقوم الخطاب المدحي في شعر بني عباد على منظومة من القيم التي تمثل أساس البناء الحجاجي، ومن أبرزها: **العدل**، بوصفه أساس الحكم الرشيد، **والشجاعة**، بوصفها دليلًا على حماية الدولة، **والكرم**، بوصفه رمزًا للعطاء والهيبة، و**الحكمة**، بوصفها شرطًا لحسن التدبير، و**العلم**، بوصفه مظهرًا من مظاهر الرقي الحضاري، ولا يكتفي الشاعر بذكر هذه القيم، وإنما يربطها بسلوك الممدوح وإنجازاته، لتتحول من مفاهيم مجردة إلى حجج تؤكد مكانته[20]. ونلحظ ذلك من قول ابن زيدون في مدح المعتضد بن عبَّاد [21] :

هُوَ المَلِكُ الَّذي بَرَّت فَسَرَّت خِلالٌ مِنهُ طاهِرَةُ النَواحي

هُمامٌ خَطَّ بِالهِمَمِ السَوامي مِنَ العَلياءِ في الخِطَطِ الفِساحِ

أَغَرُّ إِذا تَجَهَّمَ وَجهُ دَهرٍ تَبَلَّجَ فيهِ كَالقَمَرِ اللِياحِ

سَميعُ النَصرِ لِإِستِعداءِ جارٍ أَصَمُّ الجودِ عَن تَفنيدِ لاحِ

لو تابعنا النص الشعري لوجدناه يؤصل لقيم مدحية متعددة ، وهو إشارة خلاقة لتكامل البنى المدحية، فيبدأ الشاعر بتوظيف الضمير (هو)، وينسب (الملك)، لتتسل بعد ذلك كل القيم المدحية طاهرة النواحي، فهو (همام خط بالهمم السوامي)، ومن العلياء في الخطط الفساح وهو توازي مدحي مع كل الصفات التي تتمثل بالممدوح، وهو سميع النص لاستعادة جارٍ ومكتمل الجود عن تفنيد كل لاحٍ، فالثيم مكتملة متعاضدة معًا قدما ابن زيدون برؤية نصية موازية .

ويتسع هذا الخطاب المدحي مع ابن زيدون في النص الآتي [22] :

ابُوهُ الَّذِي فَلَّ غَرْبَ الضَّلَالِ وَلَاءَمَ شَعْبَ الهُدَى فَالْتَأَمْ

تَقِيلُ فِي العِزِّ مِنْ حِمْيَرَ مَقَاوِلَ عِزٍّ جَمِيعِ الأُمَمْ.

إن النص يتأسس على بنى مدحية تكاد أن تكتمل برؤية نصية متوازية معًا، فيبدأ بمدح أبوه الذي قد غرب الضلال عنه، مستثمرا العز من بني حمير، وهي ثيمة نصية متحققة تماما، مقاول عن جميع الأمم وكل القيم التي وظفها بثت نصا حقيقياً يفيض بشعرية عالية القيمة والمستوى .

المطلب الثاني : بناء صورة الممدوح في مدائح بني عباد :

اعتمد شعراء بني عباد على مجموعة من الصفات التي كانت تمثل في الوعي العربي والإسلامي معايير الحكم الصالح، فجعلوا منها الأساس الذي تقوم عليه صورة الممدوح. ولم يكن اختيار هذه الصفات اعتباطيًا، وإنما استند إلى القيم التي تحظى بقبول الجمهور، مثل العدل، والشجاعة، والحكمة، والكرم، وحماية الدين، وتقوم هذه الآلية على مقدمة ضمنية مفادها أن من اجتمعت فيه هذه الصفات كان جديرًا بالطاعة والقيادة، ومن ثم فإن إثباتها للممدوح يؤدي منطقيًا إلى إثبات أحقيته بالحكم. وهكذا تتحول الصفات إلى حجج، ويتحول المديح إلى خطاب استدلالي يرمي إلى الإقناع، وتتجلى هذه الصورة المثالية في اعتماد الشعراء على ألفاظ ذات دلالات إيجابية قوية، مثل: الإمام، السيف، الغيث، النور، البحر، الأسد، وهي ألفاظ تحمل في الثقافة العربية معاني القيادة والعظمة والسمو، فتؤدي وظيفة رمزية تعزز من مكانة الممدوح في ذهن المتلقي.

أولًا: التدرج في بناء الصورة الحجاجية :

يتسم الخطاب المدحي في مدائح بني عباد بالتدرج في عرض الحجج، فلا يبدأ الشاعر بإطلاق الأحكام النهائية، وإنما يقدم سلسلة من المقدمات التي تنتهي إلى النتيجة المراد إثباتها، ويبدأ هذا التدرج غالبًا بإبراز الصفات الفردية، كالكرم أو الحلم، ثم ينتقل إلى الصفات السياسية، كالعدل وحسن التدبير، ثم ينتهي إلى بيان أثر هذه الصفات في استقرار الدولة ورخاء الرعية. وبهذا يصبح الثناء على الممدوح نتيجة منطقية لسلسلة من الأدلة، لا مجرد انفعال شعري، ويمثل هذا التدرج ما تسميه الدراسات الحجاجية بـ **السلم الحجاجي**؛ إذ تتفاوت قوة الحجج، وتترتب وفق نسق تصاعدي يجعل الحجة اللاحقة أقوى من السابقة، حتى تبلغ الذروة في نهاية القصيدة[23]. ومن ذلك قول ابن اللبانة [24]:

إِنَّما أَنتَ دُرَّةٌ لِلمَعالي رَكَّبَ الدَهرُ فَوقَها أَصدافا

أَنتَ لِلفَضلِ كَعبَةٌ وَلَو أَنّي كُنتُ أَستَطيعُ لَاِستَطَعتُ الطَوافا

يبتدأ البيت بأداة الحصر (إنما) وبعدها الضمير الداخل وهو تجلي مدحي قدمه الشاعر، ثم يتوالى النص ب(أنت للفضل) وهو استثمار لكل الممكنات النصية لتكامل القيمة المدحية وما فيها من

معانٍ متكاملة، وبذلك يُشكل الشاعر سلماً حجاجياً صاعداً؛ يبدأ باستجابة الكائنات لقدرته، وينتهي بتضاؤل الكون بأكمله أمام سعة جوده ومكانته، ليُقنع المتلقي بأن الممدوح استثناء كوني يُعزى إليه الفضل المطلق.

ثانيًا : توظيف المرجعيات التاريخية والدينية :

لجأ شعراء بني عباد إلى استحضار الشخصيات التاريخية والرموز الدينية لإضفاء مزيد من القوة على خطابهم. فالربط بين الممدوح وشخصيات عُرفت بالعدل أو الشجاعة أو الحكمة يؤدي إلى انتقال القيمة من النموذج المستحضر إلى الممدوح، ويُعد هذا النمط من الاستدلال من أكثر الأساليب الحجاجية تأثيرًا؛ لأنه يستند إلى سلطة معرفية وثقافية مستقرة في وجدان المتلقي، فلا يحتاج الشاعر إلى البرهنة على قيمة تلك الشخصيات، وإنما يكتفي بإثبات التشابه بينها وبين الممدوح، كما يسهم استدعاء النصوص القرآنية والإشارات التاريخية في تعزيز صدقية الخطاب، لأن المتلقي يتعامل معها بوصفها مرجعيات موثوقة، مما يزيد من فاعلية الحجة[25]. ومن ذلك قول ابن زيدون [26].

لِمُعتَضِدٍ بِهِ أَرضاهُ سَعياً فَأَقبَلَ وَجهَهُ وَجهَ الفَلاحِ
فَمَن قاسَ المُلوكَ إِلَيهِ جَهلاً كَمَن قاسَ النُجومَ إِلى بَراحِ
وَمُعتَقِدُ الرِياسَةِ في سِواهُ كَمُعتَقِدِ النُبُوَّةِ في سَجاحِ

إن توظيف المرجعية الدينية يتجسد في النص المدحي الذي قدمه ابن زيدون، فالنبوة التي يدلل بها هي واحدة من المفاهيم الدينية الاسلامية وغير الاسلامية ، يستثمرها ببعد ديني مدحي مدحًا للمعتضد بالله، وهذا النص يزخر بالبنيات النصية المدحية التي توالت بعضها مع بعض، فالرياسة توازي النبوة في هذا التصور المدحي كمن قبل الشاعر. من مدائح ابن اللبانة لبني عباد قوله [27]:

مَلِكٌ إِذا عَقَدَ المَغافِرَ لِلوَغى حَلَّ المُلُوكُ مَعاقِدَ التِّيجانِ
وَإِذا غَدَتْ راياتُهُ مَنشورَةً فَالخافِقانِ لَهُنَّ في خَفَقانِ

إن هذا النص يتأسس على ثيمات مدحية متوالية بعضاها مع بعض، فيبدأ الشاعر بإيراد لفظة الملك وهو متلازمة مدحية عمد إليها جل الشعراء، تأخذ ابعادا مختلفة ولا سيما السيطرة والتمكن، وهو يوظف مفهوم الراية بكل ما فيها من ايداع نصي ممكن .

ثالثًا : التوازن بين العقل والعاطفة :

من أبرز خصائص مدائح بني عباد أنها لا تعتمد على الاستمالة العاطفية وحدها، ولا تكتفي بالحجج العقلية المجردة، وإنما تحقق توازنًا بين الطرفين، فالحجج العقلية تظهر في ترتيب الوقائع، وإبراز الإنجازات، والاستناد إلى القيم المشتركة، في حين تتجلى الاستمالة الوجدانية في الصور البيانية، والإيقاع الموسيقي، والألفاظ ذات الشحنة الانفعالية، ويمنح هذا التوازن الخطاب قدرة أكبر على الإقناع؛

لأن المتلقي لا يتلقى المعاني بعقله وحده، بل يستجيب أيضًا لما تثيره اللغة من مشاعر وانفعالات[28].

وللشاعر ابن عمار، وهو من أبرز شعراء بلاط بني عباد، ومدح المعتمد بن عباد[29]:

مَلِكٌ إذا ازدَحَمَ المُلوكُ بِمَوردٍ وَنَحاهُ لا يَردونَ حَتّى يَصدُرا

أَندى عَلَى الأَكبادِ مِن قَطرِ النَّدى وَأَلَذُّ في الأَجفانِ مِن سِنَةِ الكَرى

إن هذا النص يمثل طاقة نصية متجددة عبر ايداع ألفاظ مشحونة فيه، ويبدأ بداية مع الشطر الأول هو تقديم شخصية الممدوح على الجميع ونجد هنا أن ابن عمار يجعل من ابن عباد على أنه الوحيد الذي يستحق هذا التقديم على بقية الملوك، إذ تتوازى كل البنيات النصية اللغوية في هذا النص وهي توازن حقيقي قدمه الشاعر الى الممدوح.

ويستمر هذا التوازن ما بين العاطفة والعقل عند مدح المعتضد بن عباد، وهما من قصيدة أبي بكر ابن عمار في مدحه، وتؤكد المصادر نسبة الأبيات إليه وسياقها في مدح المعتضد، بقوله [30]:

أيقنتُ أنّي من ذُراهُ بجَنَّةٍ لمّا سَقاني من نَداهُ الكَوْثَرا

وعَلِمتُ حقًّا أنَّ رَبعي مُخصِبٌ لمّا سَألتُ بهِ الغَمامَ المُمْطِرا

إن البنيات الوجدانية النصية تتكامل في النص الشعري المدحي، فيوظف الشاعر في ندحه لابن المعتضد جملًا طويلة من المباني الداخلية المدحية، فيتأسس النص عليها كـ(الكوثرا و مخصب والغمام الممطرا) ، وهي متواليات متكاملة وظفها الشاعر لتقديم صورة الممدوح .

رابعًا : تكامل الوسائل البلاغية مع البناء الحجاجي :

لا تعمل الوسائل البلاغية في المدائح الأندلسية بمعزل عن البناء الحجاجي، بل تمثل جزءًا من آلياته الداخلية. فالاستعارة تُجسد المعنى وتجعله أكثر حضورًا، والتشبيه يقرّب الصورة إلى الذهن، والكناية تدفع المتلقي إلى استنتاج المعنى بنفسه، والتكرار يرسخ الفكرة ويؤكدها، أما الطباق والمقابلة فيبرزان التميز من خلال التضاد، ومن ثم فإن القيمة الحقيقية لهذه الوسائل لا تكمن في بعدها الجمالي فحسب، بل في دورها في تدعيم الحجة، وتعزيز أثرها النفسي، وتوجيه المتلقي نحو النتيجة التي يرومها الشاعر[31]. ومنه قول ابن اللبانة [32]:

تَخَلَّلْتَ حَتَّى غَابَةَ الأَسَدِ الوَرْدَا ... وَأَنْزَلْتَ حَتَّى سَاكِنَ الأَبْلَقِ الفَرْدَا

وَجَرَّدْتَ دُونَ الدِّينِ سَيْفَكَ فَانْثَنَى ... مِنَ النَّصْرِ فِي حُلْيٍ مِنَ الدَّمِ فِي غِمْدِ

بصير بأطراف المؤثلة الشبا سميع بآذان المسومة الجرد

لقد ضم أمر الملك حتى كأنه نطاق بخصر أو سوار على زند

وحسن طعم العيش حتى أعاده ألد من الإغفاء في عقب السهد

وحسب الليالي أنها في زمانه بمنزلة الخيلان في صفحة الخد

تتكامل الوسائل البلاغية في هذه لتشكل بناءً حجاجياً مقنعًا يهدف إلى ترسيخ الاستحقاق المطلق للممدوح بالرياسة والسيادة عبر تسويغ قدرته العسكرية وحكمته السياسية. فالبيت الأول يحمل (التدرج المبالغ فيه عبر التعدية والتكرار)، ويُوظف الشاعر حرف الغاية (حَتَّى) المكرر مع المبالغة الاستعارية (غابة الأسد الورد، وساكن الأبلق الفرد) ليبني حجة الاتساع والشمول؛ إذ يُثبت أن سلطة الممدوح ومهابته اخترقت أحصن المعاقل وأشد الأعداء تمنعاً، مقنعاً المتلقي بانهيار أي قوة أمام نفوذه. والبيت الثاني يحمل (المقابلة والطباق وحسن التعليل)، فيرتكز الحجاج على ثنائية (حلي / الدم) و(سيفك / غمد)؛ فالتجريد للدين يجعل النصر حلياً والسيف مغموداً بدم الأعداء، وهي حجة الشرعية الدينية والظفر التي تُثبت أن خوضه الحروب ليس بطشاً بل نصرة للحق، فتتحول الدماء إلى دليل تأييد إلهي. والبيت الثالث فيه (مجاز الحواس والاتساع الكنائي) عبر الكناية عن شدة التأهب والخبرة العسكرية (بصير بأطراف المؤمثلة وسميع بآذان المسومة)، يُشكل الشاعر حجة الكفاءة القيادية؛ فالحدس واليقظة الحسية يُمثلان برهاناً عقلياً على قدرته على تدبير الحروب وإدارتها بحكمة. وفي البيت الرابع (التشبيه التمثيلي المكثف)، إذ يُشبه الشاعر ضبط أمر الملك بحسن انتظام (نطاق بخصر أو سوار على زند)، وهي حجة الاستقرار والضبط السياسي؛ فالاستعارة التشبيهية تُقنع الذهن بأن الحكم في عهده انتقل من الشتات إلى الانضباط التام والشديد والتناسق الجمالي. والبيت الخامس يحمل (الطباق والاستعارة التذوقية)، إذ يستعين الشاعر بالطباق بين (الإغفاء والسهد)، والتشبيه المقلوب لطعم العيش (ألد من الإغفاء) لتقديم حجة الرخاء والأمن؛ إذ يُقنع المتلقي بأن السكينة والرفاهية في زمانه بلغت حداً جعلت العيش أمتع من نوم الاستراحة بعد طول التعب. والبيت السادس فيه (التشبيه الضمني والتمثيلي الجمالي)، فيختتم الشاعر سلَمه الحجاجي بتشبيه الليالي والأحداث في زمانه بـ (الخيلان/الشامات في صفحة الخد)، وهي حجة تحويل المصائب إلى جمال؛ إذ يُثبت أن زمان الممدوح بلغ من الحسن والكمال ما يجعل حتى حوادث الليالي المظلمة تعزز جمال العصر وتزيده بهاءً وتماسكاً. ويستمر مدح ابن اللبانة في بني عباد، في النص الشعري ، قائلاً [33]:

لَقَدْ ضَمَّ أَمْرَ المُلْكِ حَتّى كَأَنَّهُ نِطَاقٌ بِخُضْرٍ أَوْ سِوَارٌ عَلَى زَنْدِ

وَحَسُنَ طَعْمُ العَيْشِ حَتّى أَعَادَهُ أَلَذَّ مِنَ الإِغْفَاءِ فِي عَقِبِ السَّهْدِ

يتمثل النص على بنيات كلية اولها صفة الملك وثانيها الوصف الدائر حوله وهكذا يستمر النص وهو شاهد آخر أقوى من حيث تكامل الوسائل البلاغية، لأن البيت يجمع بين التشبيه والمبالغة والصورة الحسية ويخدم الحجاج المنطقي الذي يستدل به النص .

المطلب الثالث: استراتيجيات الإقناع والتأثير في مدائح بني عباد :

أولًا: استراتيجية الحجاج بالقيم

تُعد القيم من أهم المرتكزات التي يقوم عليها الخطاب الحجاجي؛ لأنها تمثل مسلمات يشترك فيها المتكلم والمتلقي، ومن ثم لا تحتاج إلى البرهنة على مشروعيتها، وإنما يكفي إثبات اتصال الممدوح بها. وقد اعتمد شعراء بني عباد على منظومة من القيم العليا، كالشجاعة، والعدل، والكرم، والحلم، والعلم، فجعلوا منها أساسًا لإثبات أحقية الحاكم بالمجد والقيادة [34].

وتبرز فاعلية هذه الاستراتيجية في أن الشاعر لا يفرض حكمًا على المتلقي، بل يدفعه إلى استنتاجه من خلال الربط بين الممدوح وتلك القيم. فإذا كان العدل أساس الملك، وثبت أن الممدوح عادل، فإن النتيجة المنطقية هي استحقاقه الطاعة والإجلال، وهو ما يمثل بناءً حجاجيًا متدرجًا يقوم على مقدمات ونتائج مترابطة[35]. ومن ذلك قول ابن زيدون [36]:

وَبَقيتَ لِلدُنيا فَأَن تَ دَواؤُها مِن كُلِّ داءِ

وَوَرِثتَ أَعمارَ العِدى وَقَسَمتَها في الأَولِياءِ

تأسست استراتيجية الاحتجاج بالقيم في بيتي ابن زيدون على تحويل الفضائل الأخلاقية والمرجعيات الوجودية إلى حجج إقناعية تُشرعن صدارة الممدوح؛ إذ يُقيم الشاعر حجة القيمة الشفائية/الوجودية بتشبيه الممدوح بـ"الدواء" والدنيا بـ"العليل"، ليُثبت أن بقاءه ضرورة كليّة لحفظ توازن العالم ورفع الاختلال عنه، ثم يتدرج حجاجياً نحو قيمة العدل والتضامن السياسي عبر استعارة (ميراث أعمار الأعداء وتقسيمها على الأولياء)، وهي بنية استدلالية قائمة على المقابلة بين الموالاة والمعاداة، إذ يُصبح سلب أعمار الأعداء نتيجة منطقية لشرعيته وحزمه، وإعادتها حظوظاً وأعماراً حفيّة لأوليائه برهاناً ساطعاً على جوده وعدله المطلق.

وبذلك لا يقتصر الخطاب على التمني والدعاء بطول العمر، بل يُقدّم منظومة حجاجية قيمية تُقنع المتلقي بأن حفاة الممدوح وشرعيته يستندان إلى دوره في إقامة الموازين الإلهية والأخلاقية، بكونه منبع الشفاء وركيزة النصر والعدالة للوجود برُمّته. ويستمر مدح ابن زيدون في النص الآتي[37]:

يا خَيرَ مَن رَكِبَ الجياد وَسارَ في ظِلِّ اللِواءِ

وَاِجتالَ يَومَ الحَربِ قُد ماً وَاِحتَبى يَومَ الحِباءِ

فالنص الشعر يتمثل ببنيات متكاملة معا وهي استراتيجيات حجاجية، بادئا بيا النداء للمخاطب، ثم يتحول بعد ذلك إلى الذي سار في ظل اللواء والجمع، ويتحول ثالثا إلى يوم الحرب ويوم الحباء وهي بنيات نصية متكاملة معا بتوظيف عبقري حجاجي قدمه الشاعر في كموضوعة المدح .

ثانيًا: استراتيجية المقارنة

تُعد المقارنة من أكثر الوسائل الحجاجية حضورًا في المدائح الأندلسية، إذ يعمد الشاعر إلى موازنة الممدوح بغيره من الملوك أو القادة أو الشخصيات التاريخية، ليبرز تفوقه عليهم. ولا تهدف هذه المقارنة إلى الانتقاص من الآخرين، وإنما إلى ترسيخ صورة الممدوح بوصفه النموذج الأكمل[38]. وقد

تأتي المقارنة صريحة، أو ضمنية، من خلال الإيحاء بأن صفات الممدوح قد بلغت منزلة تعجز عنها الشخصيات الأخرى. وبهذا تتحول المقارنة إلى وسيلة لإقناع المتلقي، لأنها تقوم على المفاضلة بين نموذجين، وتدفعه إلى تفضيل أحدهما استنادًا إلى معايير مشتركة[39]. ولابن اللبانة نص في مدح المعتمد وبنيه[40]:

جَمالٌ وَإجمالٌ وَسَبْقٌ وَصَوْلَةٌ كَشَمْسِ الضُّحى كَالمُزْنِ كَالبَرْقِ كَالرَّعْدِ

بِمَهْجَتِهِ شادَ العُلا ثُمَّ زادَها بِناءً بِأَبناءِ جَحاجِحَةٍ لُدِّ

يقوم النص على مبنيات نصية مدحية مقارنة فيما بينها وهي ترتكز على البدء بالجمال ثم شمس الضحى لتستقر على المهجة، وهي الفاظ مدحية محسوسة وظفها ابن اللبانة في تقديم صورة كلية عن الممدوح وما إليها .

ولابن حمديس تحديدًا وفي مدح المعتمد بن عباد، شاهدًا أوضح لاستراتيجية المقارنة، وفيه مقارنة صريحة بين الممدوح ونموذج أعلى منه في الصورة بقوله [41]:

نِعَمٌ تُنَوِّرُ في الأَكُفِّ كَما سَقَى عَيْنَ الرِّياضِ حَيَا السَّحابِ المُسْبِلِ

وَسَعَى بِأَرْضِكَ واضِعًا فَمَهُ عَلى تُرْبٍ بِأَفْواهِ المُلوكِ مُقَبَّلِ

يقف هذا النص على مرتكزات نصية مدحية توظفت في الاستراتيجية المقارنة التي عقدها الشاعر لوصف الممدوح، فوظف نعم للمدح وموازيا لها عين الرياض لينتقل إلى موضوعة الوصف ومن ثم بعد ذلك بوصف الأرض لينتقل إلى الملك وكل تلك المداليل قدمت صورة متكاملة عن الممدوح .

ثالثًا: استراتيجية التمثيل والاستشهاد :

يستثمر شعراء بني عباد الشخصيات التاريخية والدينية بوصفها شواهد تؤيد دعاواهم، فيشبّهون الممدوح بالخلفاء الراشدين أو القادة المشهورين أو الأبطال العرب، أو يستحضرون أحداثًا معروفة في التاريخ الإسلامي، وتنبع قوة هذه الاستراتيجية من انتقال القيمة الرمزية للنموذج المستحضَر إلى الممدوح، فكلما كانت الشخصية أكثر رسوخًا في الوعي الثقافي، ازدادت قوة الحجة، لأن المتلقي يتعامل معها بوصفها مرجعًا موثوقًا لا يحتاج إلى إثبات[42]. ومنه قول ابن اللبانة [43]:

ينجيك من نجى من الجب يوسفا ويؤويك من آوى المسيح بن مريما

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

إن استراتيجية التوظيف التاريخي والديني في بيتي ابن اللبانة بوصفها شواهد مرجعية تُثبت دعاوى الشاعر وتدعمها حجاجياً، وينسج الشاعر في البيت الأول حجة التنظير والقياس الديني من خلال استدعاء رمزيّتَي النبي "يوسف" والنبي "عيسى" عليهما السلام؛ ليُمثّل لابتلاء الممدوح ونجاته المنتظرة، مؤكداً أن العناية الإلهية التي خلّصت يوسف من الجب وآوت المسيح هي ذاتها الكفيلة بإنقاذه، مما يفرغ النكبة من كونها نهاية ويمنحها بعداً اخراً شريفاً، ثم ينتقل في البيت الثاني إلى استحضار

الشاهد التاريخي والاحتجاج بالأثر الشامل عبر استدعاء شخصية "قيس ليبني حجة المظلومية والتأثير الجماعي، مفادها أن نكبة الممدوح ليست خسارة فردية، بل هي زلزال أطاح بـ"بنيان قوم" بأكمله. وبذلك يتحول التمثيل بالتاريخ والنبوءات إلى بنية حجاجية إقناعية تُشرعن صمود الممدوح، وتستنهض التعاطف معه، وتُضفي على محنته السياسية بعداً كلياً ورمزية تاريخية عابرة للزمن. ويستمر ابن اللبانة في مدحه قائلًا [44]:

جمالٌ وإجمالٌ وسبقٌ وصولةٌ

كَشمسِ الضُّحى كالم ُزنِ كالبرقِ كالرعدِ

فهنا تقوم استراتيجية التمثيل على نقل صفات الممدوح من المجال المجرد إلى صور محسوسة؛ فشبّه جماله وإجلاله وسبقه وقوته بـ شمس الضحى، والمزن، والبرق، والرعد. وهذا التتابع التمثيلي يجعل الصفات المدحية وكأنها حقائق مشاهدة، فيقوّي حجة الشاعر في إثبات عظمة الممدوح.

رابعًا: استراتيجية التدرج الحجاجي :

يعتمد البناء الحجاجي في المدائح على ترتيب الصفات ترتيبًا تصاعديًا، يبدأ بالصفات الفردية، ثم ينتقل إلى الصفات السياسية والاجتماعية، حتى ينتهي إلى تصوير الممدوح بوصفه ركيزة الدولة وحاميها، ويؤدي هذا التدرج وظيفة إقناعية؛ لأن المتلقي لا يواجه بالنتيجة منذ البداية، وإنما يصل إليها عبر سلسلة من الأدلة المتتابعة، وهو ما يجعل عملية الإقناع أكثر تأثيرًا وأقرب إلى القبول[45].ومنه قول ابن اللبانة [46]:

نصرة الدين لا أعدمت نصرته تلقى النصارى بما تلقى فتنخدع

تنيلهم نعماً في طيها نقم سيستضر بها من كان ينتفع

وقلما تسلم الأجسام من عرض إذا توالى عليها الري والشبع

لا يخبط الناس عشوا عند مشكلة فأنت أدرى بما تأتي وما تدع

تتأسس استراتيجية التدرج الحجاجي في أبيات ابن اللبانة الداني عبر سلم استدلالي تصاعدي ينتقل فيه الشاعرُ بالمدح من السلوك السياسي الفردي إلى الحكمة العسكرية الشاملة، لترسيخ عبقرية المعتمد بن عباد القيادية؛ إذ يبدأ البيت الأول بتثبيت الصفة الفردية والخاصية السياسية المتمثلة في الدهاء والخديعة المشروعة لنصرة الدين بمهارة تُفحم الأعداء، نعم، استراتيجية التدرّج الحجاجي تصلح محورًا واضحًا في الحجاج البلاغي في مدائح بني عباد؛ والمقصود بها أن الشاعر لا يقدّم المديح دفعة واحدة، بل يبني صورة الممدوح مرحلةً بعد مرحلة: يبدأ بصفة، ثم يرفعها إلى أخرى، ثم ينتقل من الفرد إلى الأسرة، أو من القوة إلى الكرم والمجد، حتى يبلغ ذروة المدح، ثم يتدرج صعوداً في البيت الثاني ونصف الثالث إلى الصفة التدبيرية والاستراتيجية؛ حيث يصوغ حجة قائمة على "المكر المزدوج" عبر منح الأعداء نعماً ظاهرة هي في جوهرها نقمٌ مؤجلة تُضعفهم، معززاً ذلك بـ حجة برهانية طبيعية تؤكد

أن الإفراط في الرخاء والشبع يورث الأجسام العلة والضعف حتماً، ويصل التدرج إلى قمة الهرم الحجاجي في البيت الرابع عند إبراز الصفة القيادية الجامعة والعقلية المعصومة؛ إذ يتجلى المعتمد كمرجعية حاسمة تنفي التخبط والعشوائية في أوقات الأزمات لمعرفته المطلقة بتقدير عواقب الأمور.

خامسًا: استراتيجية الاستمالة الوجدانية:

لا يقتصر الخطاب المدحي على البرهنة العقلية، بل يعتمد أيضًا على إثارة العاطفة من خلال الصور البيانية، والإيقاع الموسيقي، والألفاظ ذات الحمولة الشعورية. فالاستعارة والتشبيه والكناية لا تؤدي وظيفة جمالية فحسب، بل تجعل الحجة أكثر تأثيرًا، لأنها تنقل المعنى من دائرة التجريد إلى دائرة الحس والتجربة. ومن هنا يتحقق التكامل بين البلاغة والحجاج؛ إذ تصبح الصورة الشعرية أداةً للإقناع، لا مجرد عنصر زخرفي، وهو ما ينسجم مع تصورات البلاغة العربية التي ربطت جودة التعبير بقوة أثره في المتلقي[47]. ومن ذلك قول ابن اللبانة[48]:

فكأنما الاصباح تحتك أشقر وكأنما الإظلام تحتك أدهم

وكأن خاطفة البروق قد ارتضت صفحات سيفك قد علاهن الدم

تتجسد الاستمالة الوجدانية في بيتي ابن زيدون عبر بناء صورة بيانية مدهشة ورنين إيادي عاطفي يُهيئ المتلقي للانفعال بمهابة الممدوح؛ إذ يُوظف الشاعر التشبيه المجازي المزدوج للمطهم من الخيل (أشقر / أدهم) مطابِقاً إياه مع (الإصباح / الإظلام)، ليرسم صورة حركة خاطفة تتلاقى فيها أضداد الطبيعة تحت فروسيته. وتتأكد هذه الاستمالة في البيت الثاني بتشبيه خاطفة البروق التي ارتضت أن تستقر فوق حافات سيفه المضمَّخ بالدم، وهي صورة استعارية وجدانية تثير رهبة جليلة ومشاعر إجلال لشجاعته.

يتحقق البعد الحجاجي في النص عبر حجة التفوق والسيادة الكونية؛ حيث يُقنع الشاعر وجدان المتلقي بأن الممدوح لا يمتلك زمام الخيل والسيف فحسب، بل يمتلك زمام الضياء والظلمة والبرق، ويكتمل هذا التأثير بـ حمولة شعورية وموسيقية تنبع من التوازنات اللفظية والقوافي المضمومة الثقيلة (أشقرُ/أدهمُ/الدمُ)، مما يُحول الصورة البيانية والإيقاع إلى وسيلة حجاجية اقناعية تُخضع العاطفة والعقل معاً لمهابة الممدوح وسلطانه المطلق.

نعم. استراتيجية الاستمالة الوجدانية في الحجاج البلاغي تعني أن الشاعر يحاول إقناع المتلقي من خلال إثارة العاطفة؛ كالشفقة، والمحبة، والإعجاب، والحزن، والحنين، والفخر، بدل الاعتماد على البرهان العقلي وحده.

وفي مدائح بني عباد تظهر هذه الاستراتيجية بوضوح، ولا سيما عند ابن اللبانة وابن حمديس. ولابن حمديس الصقلي قصيدة يمدح فيها ابن عباد قائلاً [49]:

بوجهِكَ لي من حُسنِ مائيّةِ البِشرِ لياليَ لا أشدوكَ إلا مطوَّقًا

بنعماكَ في أفنانِ روضاتِكَ الخُضرِ وما زالَ صَوبٌ من نَداكَ يَبُلُّني
ويُثقِلُني حتى عجزتُ عن الوَكرِ بكيتُ زمانًا كان لي بك ضاحكًا
وكسرُ جناحي كان عندكَ ذا جبرِ وأطرقتُ لمّا حالتِ الحالُ حَيرةً

يتوسل ابن حمديس هنا بـ الاستمالة الوجدانية عبر بناء علاقة عاطفية مباشرة مع الممدوح؛ فهو يستحضر الماضي السعيد الذي كان فيه المعتمد سببًا في راحته ونعمه، ثم ينتقل إلى تصوير حاله بعد تغير الظروف، و«نعماك»: تستثير شعور الامتنان للممدوح وتقدمه بوصفه مصدرًا للنعم، وهنا تكمن الحجة: إذا كان الممدوح قد جبر كسر الشاعر، وأغدق عليه النعم، وكان سببًا في سعادته، فإنه يستحق المحبة والثناء والوفاء. فالعاطفة تحولت إلى وسيلة إقناع.

المبحث الثاني : تجليات الحجاج البلاغي في مدائح بني عباد :

يمثل شعر المديح في عصر بني عباد خطابًا يتجاوز حدود الإشادة الجمالية بالممدوح إلى بناء صورة ذهنية مقنعة عنه، وإقناع المتلقي بأهليته للثناء والرياسة والقيادة. ومن ثمَّ فإن المدح العبّادي يمكن النظر إليه بوصفه خطابًا حجاجيًا يستند إلى جملة من الوسائل البلاغية؛ كالتوكيد، والتشبيه، والاستعارة، والمقابلة، والتعليل، والاستمالة العاطفية، واستحضار المرجعيات الدينية والقيمية، وقد اتخذ الشعراء من هذه الوسائل أدوات لإنتاج صورة مثالية للممدوح، تجمع بين القوة والشجاعة والكرم والعدل، بما يجعل الممدوح جديرًا بالمكانة التي يطلبها الشاعر له في وعي المتلقي[50].

أولًا: الحجاج بالتوكيد وتكثيف الصفات: يهدف الحجاج البلاغي الى تحقيق الغاية المثلى، في خضوع عقول السامعين، وميول قلوبهم، في اسس تجمعها البرهان والحجة ، بوساطة محددة بين المحاور والمستمع. ولعل الحجاج بالتوكيد وتكثيف الصفات جوهرة التواصل في هذا الخطاب، والغاية الرئيسة التي يقوم عليها تغيير اتجاه الراي العام، البناء اتجاهات جديدة لغرض لفت انتباه المتلقي بقصد التأثير والاقناع، اذا يعد الاقوى والأكثر تأثيرا، في اثبات الصفات الحسنة والصورة الجميلة بالتوكيد وتكثيف الصفات (١) وهذه الاستراتيجية التي يستعملها الشاعر الاندلسي عند مدح بني عباد للتأثير حسا ومعنى وترويض المشاعر تمهيدا للغرض المتوخاة بفكرة ذات بعدا تأثيري يتناغم فيه النص الشعري، فالهدف الرئيس من التوكيد والتكثيف تقوية المعنى، واقناع المتلقي. واثبات طرح النصوص الشعرية لمدح بني عباد باستعمال ادوات التوكيد، والصفات المتلاحقة الحسنة لشحن الخطاب بالقوة الاقناعية [51].

ثانيًا: الحجاج بالتشبيه وبناء صورة القوة: التشبيه في الحجاج البلاغي اداة لتختص في الجمالية فقط وانما تمتد في تجسيد المعاني، وتقوية الصورة في الخطاب، واعتنى شعراء بني عباد كثيرا في نصوص شعرية تشبيهية لتأثيرها في بناء الصورة الادبية، ورصف المعنى المؤثر في المشاعر والاحاسيس والعواطف الانسانية ، التشبيه هو قوة حجاجية اقناعية يصل من خلالها الشاعر عقول السامعين ، فالتوظيف بالدقة للنص الشعري بالتشبيه تقود الى حضور فاعلية التخييل، واهتم شعراء بني

العباد بالتشبيه في مختلف قصائدهم، بقصد الاقناع والتأثير ، ورفد المعنى بالجمالية البيانية، القادرة على لفت الانتباه ،على الرغم من اختلاف السياق في التشبيه كتشبيه الشي بالشيء صورة وهيئة، وتشبيه بالمعنى والحركة واللون والصوت، وتمتزج هذه الصور أحيانا ببعضها، فإذا جرى الامتزاج والاتفاق كثر الصدق به وحسن الشعر فيه. وهذا هو الاشتراك في الصفات أكثر من الانفراد بهما . حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد. فتعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستسقي منه الافهام والاذهان ، من خلال التصور بين المشبه والمشبه به، لإنتاج خطاب الشعر الذي يجبر المتلقي على القبول والتصديق. يتجلى الحجاج بالصورة التشبيهية في مدائح ابن حمديس للمعتمد بن عباد، ومن ذلك قوله [52]:

وجاء يحمل منك الطرف أربعةً البدرَ والطودَ والدأماءَ والأسدا

ثم يقول[53]:

ليثٌ تخال سيوفًا في براثنه وتحسب الزغف منه الشعر واللبدا

يبني ابن حمديس صورة الممدوح من خلال سلسلة من التشبيهات المتتابعة؛ فيجمع بين **البدر والطود والأسد**، وهي صور تتوزع دلالاتها بين الجمال والرفعة والقوة. ثم ينتقل إلى صورة الأسد، فيجعل السيوف بمنزلة المخالب، والدروع بمنزلة الشعر واللبد، ولا تؤدي هذه التشبيهات وظيفة زخرفية فحسب، وإنما تنهض بوظيفة حجاجية؛ لأنها تقدم القوة والشجاعة في صورة حسية قابلة للتخيّل، فينتقل المتلقي من مجرد سماع صفة (الشجاعة) إلى مشهد متكامل يجعل الممدوح أسدًا في ساحة الحرب، وهنا تقوم الصورة الشعرية مقام البرهان الحسي؛ فبدل أن يقول الشاعر إن المعتمد شجاع، يقيم صورة تجعل المتلقي يتخيل شجاعته، وبذلك يتحقق **الإقناع بالصورة**، والقصيدة من مدائح ابن حمديس، وهي من بحر البسيط، وتضم ثمانية وعشرين بيتًا في النص المنشور. كما تذكر المصادر أن ابن حمديس قدم إلى الأندلس سنة 471هـ ومدح المعتمد بن عباد، فنال حظوة لديه.

ثالثًا: الحجاج بالاستعارة في ترسيخ البطولة: تبوأت الاستعارة منزلة كبيرة في حقل البلاغة، لفعاليتها وهيكلة انسجتها وجماليتها في تشكيل الخطاب، وجاءت الاحاطة بالصورة الاستعارية في مدائح بني العباد متداخلة مع صور مجازية اخرى، تمثلت في الإسناد والاحياء والحجة والبرهان والاقناع والتأثير. فالشكل الاستعاري مثل بطاقة حجاجية اكثر تأثيرا من المألوف ، فالهدف تغيير قناعات المتلقي بشكل يدهش النفس ويرسخ الذهن ،في مدح الشخصية الحاكمة، وبناء نظرة حجاجية جمالية، بوصفها استدلال فاعلا في النفوس من أجل الوصول إلى الغاية والمقصد ،والهدف، بالطروحات التي تنسجم في مدائح اهل الاندلس عامة وبني العباد بشكل خاص. ،فالصورة في الحجاج مفتاح القوة للتأثير، اذ تخاطب الادراك والشعور معا [54]. يقول ابن حمديس في المعتمد [55]:

ظُباكَ بالردّ عن دين الهدى انفردتْ وأنت ما زلت بالإنعام منفردا

ويقول [56]:

فالدين معتمدٌ منه على ملكٍ يمسي ويضحي على الرحمن معتمدا

تنتقل القصيدة هنا من وصف القوة الفردية إلى تأسيس صورة ذات بعد ديني وقيمي فالشاعر يجعل دفاع الممدوح عن (دين الهدى) سببًا في تميزه، ثم يقيم علاقة بين الملك والدين، فيبدو المعتمد في الخطاب شاعرًا حاميًا للقيم الدينية.

وتتمثل الحجاجية في أن الشاعر لا يقدم الممدوح على أساس القوة وحدها، بل يربط قوته بقيمة عليا يتقبلها المتلقي، هي **حماية الدين والعدل**، وبذلك تصبح صفات الممدوح ذات مشروعية أخلاقية، لا مجرد صفات شخصية، على أن استحضار المجال الديني في المدح يؤدي وظيفة إقناعية واضحة؛ لأنه يمنح الممدوح شرعية معنوية تتجاوز دائرة الإعجاب الفردي إلى دائرة القيم الجماعية[57]. ويتجسد هذا التنظير في نص ابن زيدون مادحًا المعتمد ابن العباد ، بقوله [58]:

فإنَّكَ شمسٌ في سماءِ رياسةٍ تطلعُ منهم حولَنا أنجمُ زُهرُ

أرى الدهرَ إن يبطشْ فأنتَ يمينُهُ وإن تضحكِ الدنيا فأنتَ لها ثغرُ

هناكَ التُّقى والعلمُ والحلمُ والنُّهى وبذلُ اللها والبأسُ والنظمُ والنثرُ

همامٌ إذا لاقى المناجزَ ردَّهُ وإقبالُهُ خطرٌ وإدبارُهُ حصرُ

إن النص يحتمل العديد من الاستعارات الموظفة نصيًا في موضوع المدح، وهذه توظيفية جديدة يقدمها الشاعر برؤية متسعة فيقدم توازي نصي اوله ان يمثل الدهر برؤية الممدوح، وثانيها انه تضحك له الدنيا، مع المتمثلات النصية الأخرى، ويصفه بالهمام مع المطابقة المتحققة نصيا في المتن الشعري .

رابعًا: الحجاج بالنتيجة وأثر الممدوح في الآخرين: واحد من الموضوعات التي استثمرها الشعراء بشكل عام، وهو رؤية نصية متحققة عبر العديد من الأبيات الشعرية وهذا ما يتجسد في قول يقول ابن حمديس [59]:

يا من عليه مدار المكرمات ومن بعدله كل مضطرٍ له سندا

ثم يقول[60]:

طارت إليك بنو الآمال وانتشقت من ذكرك النَّدَّ واستشفين منك يدا

يقوم الحجاج هنا على **الاستدلال بالنتيجة**؛ فالشاعر لا يقول فقط إن المعتمد كريم وعادل، وإنما يقدم أثر عدله وكرمه في الناس دليلًا على هاتين الصفتين، فعبارة (كل مضطر له سند) تجعل العدل سببًا في لجوء المحتاجين إليه، بينما (طارت إليك بنو الآمال) تجعل الممدوح مقصدًا لأصحاب الحاجات والآمال.

وهذا من أقوى الأساليب الحجاجية في خطاب المديح؛ لأن الشاعر يجعل **سلوك الآخرين تجاه الممدوح شاهدًا على صفاته**، فالناس يقصدونه؛ إذن هو أهل للعطاء، والمضطر يجد عنده سندًا؛ إذن

هو عادل رحيم، وبذلك يتحول المدح من مجرد دعوى إلى بناء استدلالي قوامه :**الصفة ← أثرها ← النتيجة**.

خامسًا: الحجاج بالاستمالة العاطفية : وهو متصور نقدي جديد عمد إليه الشاعر المادح وهو يستثمر جل العواطف الانسانية وتقديما بتصور شعري مناسب في الشعر، وهذا لا يعتمد المديح العبّادي على الحجاج العقلي وحده، بل يستثمر الانفعال والعاطفة في التأثير في المتلقي[61]. ويتضح ذلك في ختام قصيدة ابن حمديس[62]:

وحسن برٍّ إذا فاضت حلاوته على فؤادي من حرّ الأسى بردا

فالشاعر يستحضر حالته النفسية الخاصة، ويجعل برّ الممدوح علاجًا لما يعانيه من الحزن والأسى. وتقوم الحجاجية هنا على الاستمالة العاطفية؛ إذ يقدم الشاعر تجربته الشخصية شاهدًا على إحسان الممدوح، وقد ساعد هذا الأسلوب على بناء علاقة وجدانية بين الشاعر والممدوح، بحيث لا يبدو المديح مجرد طلب للعطاء، وإنما يظهر في صورة اعتراف بالجميل وامتنان له.

سادسًا: الحجاج بالمقابلة بين الممدوح وغيره: وهو تصور جديد وظفه الشاعر المادح، مقدمه برؤية حجاجية منطقية مناسبة جدًا ، يفيد من فنية المقابلة النصية الشعرية كثيرا ويظهر هذا النوع من الحجاج في قول ابن وهبون في المعتمد[63]:

دنا العيد لو تدنو لنا كعبة المنى وركن المعالي من ذؤابة يعرب

ثم يقول:

فوا أسفًا للشعر تُرمى جماره ويا بُعد ما بيني وبين المحصَّب

يستند الشاعر إلى المقابلة بين مقام المعتمد ومقام غيره من الملوك، فيجعل حضرة المعتمد الموضع الذي تتحقق فيه المنى، ويربطه بـ(ركن المعالي) وهذه الاستراتيجية لا تكتفي بإثبات الفضيلة للممدوح، بل ترفع منزلته فوق غيره.

وتكشف الأخبار الأدبية أن ابن وهبون كان من الشعراء المتصلين بالمعتمد، وأنه كان يخصه بمدائحه، كما وردت له أبيات ارتجلها في مجلس المعتمد، وهو ما يؤكد حضور المقام المباشر في إنتاج هذا النوع من الخطاب[64].

سابعًا: الحجاج بالاستدلال الثقافي والديني:

يعد هذا النوع من الحجاج من الأنواع المائزة التي افاد منها الشاعر وهو يحمل جل ثقافته ويوظفه في متنه الشعري، وهو يعتمد المحاججة النصية الكلية سواء في الدين الاسلامي وغيره، ومن أبرز خصائص المدح العبّادي استناد الشاعر إلى مرجعيات تتجاوز التجربة الشخصية. ومن ذلك قول ابن اللبانة في بني عباد، إذ يستحضر القرآن الكريم في ختام وصفه[65]:

وكل ملك آدمي فمفقود وما نؤخره إلا لأجل معدود

وهو تضمين نصي للآية القرآنية :﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾[66] .

ولا يأتي الاستدعاء القرآني هنا بوصفه زينة لفظية، وإنما يمنح الخطاب قوة مرجعية؛ فبعد أن بالغ الشاعر في وصف مجد بني عباد، ينتقل إلى تقرير حقيقة فناء الملك والإنسان، فيجمع بين تمجيد الممدوح والتذكير بحتمية الزوال.

وهذا الجمع يحقق توازنًا حجاجيًا لافتًا؛ إذ يبدو الشاعر مدركًا لحقيقة الفناء، لكنه يجعل قيمة الممدوح في أثره ومناقبه لا في مجرد دوام ملكه، وقد حفظ المقري هذا النص ضمن حديثه عن بني عباد، وهو ما يجعله من النماذج المهمة لدراسة البناء الحجاجي في المدح العبّادي، يتضح من خلال ما سبق أن مدائح بني عباد نشأت في بيئة سياسية وثقافية جعلت من الشعر أداةً لبناء الشرعية وتعزيز صورة الحاكم. كما أن المرجعيات الثقافية والقيم الأخلاقية لم تؤد وظيفة جمالية فحسب، بل كانت أساسًا للبنية الحجاجية التي يقوم عليها الخطاب المدحي، وهو ما يمهد لدراسة كيفية بناء صورة الممدوح في المطلب التالي.

الخاتمة:

لقد تمخضت عوالم البحث المعنون بـ ((الحجاج البلاغي في مدائح بني عباد دراسة تحليلية في استراتيجيات الإقناع والتأثير)) إلى جملة من النتائج الكلية التي عهدها الباحث وفقًا للآتي :

1. خلال ما تقدم أن صورة الممدوح في مدائح بني عباد لم تُبنَ على الثناء المجرد، وإنما جاءت نتيجة بناء حجاجي متكامل.

2. يتبين من خلال دراسة استراتيجيات الإقناع أن شعراء بني عباد اعتمدوا منظومة متكاملة من الوسائل الحجاجية، أبرزها، الاحتجاج بالقيم المشتركة.،والمقارنة بين الممدوح والنماذج التاريخية، والتمثيل والاستشهاد بالمرجعيات الثقافية ،و التدرج في بناء الحجج.و الجمع بين الإقناع العقلي والاستمالة الوجدانية .

3. إنّ الحجاج في مدائح بني عباد لم يكن قائمًا على وسيلة واحدة، وإنما تشكل من شبكة متداخلة من الاستراتيجيات البلاغية، في مقدمتها التوكيد، والمبالغة، والتشبيه، والاستعارة، والمقابلة، والتضمين الديني، والاستمالة العاطفية، والاستدلال بأثر الممدوح في الآخرين.

4. استطاع شعراء بني عباد أن يحولوا المديح من خطاب يقوم على تعداد الفضائل إلى خطاب يسعى إلى إقناع المتلقي بأهلية الممدوح للسيادة والكرم والشجاعة والعدل، ومن ثم فإن القيمة الحجاجية في هذا الشعر تتولد من التفاعل بين المعنى البلاغي والمقام التداولي؛ فالشاعر يخاطب ممدوحًا ذا سلطة سياسية، وجمهورًا يعرف مكانته، ولذلك يتجه إلى بناء صورة مثالية قادرة على ترسيخ تلك المكانة وتأكيد مشروعيتها.

5. تبرز خصوصية الحجاج في هذا الشعر في أن البرهان لا يأتي في صورة استدلال منطقي مجرد، بل يتخذ صورة شعرية؛ فالتشبيه يصبح برهانًا بالصورة، والتوكيد يصبح برهانًا لغويًا، والتضمين الديني يصبح برهانًا مرجعيًا، وتجربة الشاعر تصبح برهانًا وجدانيًا، وأثر الممدوح في الناس يصبح برهانًا واقعيًا.

6. وبذلك يتكامل الجمالي والحجاجي في المدائح العبّادية، ويتحول الشعر إلى خطاب للإقناع والتأثير، لا إلى مجرد تسجيل لصفات الممدوح.

الهوامش:

[1] – لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، د . ت، د . ط: مادة (حجج).

[2] – ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الفكر، د . ت، د . ط: مادة (حجج).

[3] – ينظر: مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة، شاييم بيرلمان– اولبرختس تيتيكا، ترجمة محمد مشبال، القاهرة، المركز القومي للترجمة، د . ت، د .ط: 189.

[4] – ينظر: Ruth Amossy, *L'Argumentation dans le discours*, Armand Colin, Paris.

[5] – ينظر: في بلاغة الخطاب الاقناعي، محمد العمري، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002م، د .ط: 51– 104.

[6] – ينظر: الحجاج في البالغة العربية من خلال نظرية "االستدالل"، د. كمال الزماني، جامعة القرويين، مراكش – المغرب ، مجلة الآداب واللغات ، العدد 10 ، ديسمبر ، 2019م : 9– 10.

[7] – ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1981م، ط7: 1/ 76– 102.

[8] – ينظر: دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1992م، ط3: 189 و 126.

[9] – ينظر: منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1989م، ط3: 45 و 91.

[10] – ينظر: مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة، شاييم بيرلمان– اولبرختس تيتيكا: 285.

[11] – ينظر: Ducrot, Oswald, *Dire et ne pas dire*, Paris.

[12] – ينظر: Amossy, Ruth, *L'Argumentation dans le discours*, Armand Colin, Paris.

[13] – ينظر: الشعر في ظل بني العباد، محمد مجيد السعيد، النجف، مطبعة النعمان، 1972م، د . ط: 74.

[14] – ينظر: المديح في الشعر الاندلسي: دراسة على الشعراء الذين مدحوا بلاط بني عباد، ميرغني الطاهر احمد الفكي، رسالة دكتوراه، جامعة ام درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، 2016م: 120.

[15]– ديوان ابن زيدون : 91.

[16]– ديوان ابن زيدون : 91.

[17]– ديوان ابن زيدون : 193 .

[18]– ينظر: التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الاندلسي، حسين احمد النوش، بيروت، دار الجيل، 1992م، ط1: 190.

[19]– ينظر: التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الاندلسي، حسين احمد النوش، بيروت، دار الجيل، 1992م، ط1: 190.

[20]– ديوان ابن زيدون : 91 .

[21]– ديوان ابن زيدون : 193 .

[22]– ينظر: التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الاندلسي، حسين احمد النوش: 197.

[23]– ينظر: ديوان ابن زيدون : 64.

[22] – ديوان ابن زيدون : 286 .

[23] – ينظر: الحجاج في الشعر الاندلسي في عصر الطوائف : حجاجية الورد والنرجس لابي بكر بن القوطية أنموذجاً – فصل الخطاب، بشرى عبد عطية، 2017م، مجلة التراث العلمي العربي، مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، مج 6، ع 2: 7– 23.

[24] – ينظر : ديوان ابن اللبانة : 94.

[25] – ينظر: الحجاج في غزل الشعر الاندلسي، رحاب فياض شنين، العراق، جامعة ذي قار، 2021م: 89.

[26] – ينظر: ديوان ابن زيدون : 65.

[27] – ينظر : ديوان ابن اللبانة : 141 .

[28] – ينظر: الحجاج في غزل الشعر الاندلسي، رحاب فياض شنين، العراق، جامعة ذي قار، 2021م: 89 .

[29] – ينظر : ديوان ابن عمار الأندلسي : 13 .

[30] – ينظر : ديوان ابن عمار الأندلسي : 91 .

[31] – ينظر: اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، الدار البيضاء، العمدة في الطبع، 2006م، د .ط: 39.

[32] – ينظر: ديوان ابن اللبانة : 51.

[33] – ينظر: المصدر نفسه : 51.

[34] – ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة– بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم الأمين، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008م، ط1: 90.

[35] – ينظر: المصدر نفسه: 110.

[36] – ينظر: ديوان ابن زيدون : 35.

[37] – ينظر: المصدر نفسه : 23.

[38] – ينظر: الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، الدار البيضاء، مؤسسة الرحاب الحديثة، 2010م: 189.

[39] – ينظر: البلاغة والادب: من الصورة إلى الحجاج، محمد مشبال، الدار البيضاء، افريقيا الشرق، د . ط، د . ت: 37.

[40] – ينظر: ديوان ابن اللبانة : 52.

[41] – ينظر: ديوان ابن حمديس ديوان ابن حميدس، ابن حميدس الصقلي، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر، 1960م، د . ط : 386.

[42] – ينظر: الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال أهم مؤلفاته في التراث الغربي والعربي، عبد الله صوله، تونس، كلية الآداب والفنون والانسانيات، 2011م، د . ط: 129.

[43] – ينظر: ديوان ابن اللبانة : 127 .

[44] – ينظر: ديوان ابن اللبانة : 52 .

[45] – ينظر: بلاغة الحجاج في النص الشعري، يوسف محمود عليمات، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإنسانية، مج 29، ع2، 2013م: 28.

[46] – ينظر: ديوان ابن اللبانة : 86.

[47] – ينظر: : الحجاج في البلاغة المعاصرة– بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم الأمين: 124.

[48] – ينظر: ديوان ابن اللبانة : 129 .

[49] – ينظر: ديوان ابن حمديس : 270 – 271 .

[50] – ينظر: المديح في الشعر الاندلسي – دراسة على الشعراء الذين مدحوا بلاط بني عباد، ميرغني الطاهر احمد: 83.

[51] ينظر. الاقناع الاجتماعي، خلفيته النظرية والياته العلمية، عامر مصباح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٦

[52] – ديوان ابن حميدس : 47.

[53] – المصدر نفسه.

[54] ينظر. بلاغة الحجاج في العصر الاموي عبدالله محمد عبدالله السلطاني، (د.ط) ٢٠٢١م ،: ٣٦٨.

[55] – – ديوان ابن حميدس، ابن حميدس الصقلي: 102.

[56] – المصدر نفسه.

[57] – ينظر: الحجاج في الشعر الاندلسي في عصر الطوائف: حجاجية الورد والنرجس لابي بكر بن القوطية أنموذجاً، بشرى عبد عطية الجبوري: 7– 23.

[58] .ابن زيدون، في مدح المعتمد بن عباد، وقد أوردها المقري في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص264– 270.

[59] – ديوان ابن حميدس، ابن حميدس الصقلي: 54.

[60] – ديوان ابن حميدس، ابن حميدس الصقلي: 54.

[61] – ينظر: الشعر في ظل بني العباد، محمد مجيد سعيد: 127.

[62] – ديوان ابن حمديس، ابن حمديس الصقلي: 74.

[63] – الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1979م، د . ط: 2/ 87.

[64] – ينظر: المصدر نفسه: 2/ 198.

[65] – نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، احمد محمد التلمساني: 6/ 187.

[66] – سورة هود: الآية (104).

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

1. Ducrot, Oswald, *Dire et ne pas dire*, Paris. Ruth Amossy, *L'Argumentation dans le discours*, Armand Colin, Paris.
2. بلاغة الحجاج في النص الشعري، يوسف محمود عليمات، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإنسانية، مج 29، ع2، 2013م.
3. البلاغة والادب: من الصورة إلى الحجاج، محمد مشبال، الدار البيضاء، افريقيا الشرق، د . ط، د . ت.
4. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1981م، ط7.
5. التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الاندلسي، حسين احمد النوش، بيروت، دار الجيل، 1992م، ط1.
6. الحجاج في البلاغة المعاصرة– بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم الأمين، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008م، ط1.

7. الحجاج في الشعر الاندلسي في عصر الطوائف : حجاجية الورد والنرجس لابي بكر بن القوطية أنموذجاً – فصل الخطاب، بشرى عبد عطية، 2017م، مجلة التراث العلمي العربي، 35.مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، مج 6، ع 2.
8. الحجاج في غزل الشعر الاندلسي، رحاب فياض شنين، العراق، جامعة ذي قار، 2021م.
9. الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال أهم مؤلفاته في التراث الغربي والعربي، عبد الله صوله، تونس، كلية الآداب والفنون والانسانيات، 2011م، د . ط.
10. الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، الدار البيضاء، مؤسسة الرحاب الحديثة، 2010م.
11. دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1992م، ط3.
12. ديوان ابن حميد، ابن حميد الصقلي، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر، 1960م، د . ط.
13. ديوان الصاحب بن عباد، أبو القاسم إسماعيل الدب بن عباد (ت 385هـ)، تحقيق محمد حسن آل ياسين، بغداد، مكتبة النهضة، 1384هـ – 1965م، د . ط.
14. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1979م، د . ط.
15. الشعر في ظل بني العباد، محمد مجيد السعيد، النجف، مطبعة النعمان، 1972م، د . ط.
16. الشعر في ظل بني العباد، محمد مجيد السعيد، النجف، مطبعة النعمان، 1972م.
17. في بلاغة الخطاب الاقناعي، محمد العمري، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002م، د .ط.
18. قلائد العقبان ومحاسن الاعيان، ابن خاقان، تحقيق حسين يوسف خريوش، عمان، مكتبة المنار، 1989م، د . ط.
19. لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، د . ت، د . ط.
20. اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، الدار البيضاء، العمدة في الطبع، 2006م، د .ط9.
21. المديح في الشعر الاندلسي: دراسة على الشعراء الذين مدحوا بلاط بني عباد، ميرغني الطاهر احمد الفكي، رسالة دكتوراه، جامعة ام درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، 2016م.
22. مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة، شاييم بيرلمان– اولبرختس تيتيكا، ترجمة محمد مشبال، القاهرة، المركز القومي للترجمة، د . ت، د .ط.
23. مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الفكر، د . ت، د . ط.
24. منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1989م.
25. نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، احمد بن محمد المقري، د . ت، د .ط.